ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 43 / عبد الحليم الغزّي
الاطار الفكري والمعرفي للتفقه الزهرائي في عقيدة الرجعة العظيمة بحسب المنهج اليماني ج14
ما بين التوجه بهم والتوجه اليهم ج5
الاحد : 14/شوال/1446هـ - الموافق 13/4/2025م

"**الْإِطَارُ الْفِكْرِيُّ وَالْمَعْرِفِيُّ لِلتَّفَقُّهِ الزَّهْرَائِيِّ فِي عَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ بِحَسَبِ الْمَنْهَجِ الْيَمَانِيِّ**"، ويَتحقَّقُ من ذَلك:
- **أولاً**: ثَباتُ عقيدة الرجْعَة العَظيمة عبر استطعامها العَقليّ والقَلبيّ واستشرابها.
- **وثانياً**: التَّعمُّقُ في عَقيدَة الرَّجْعَة العَظيمة من خلال سَبْرِ أغوارها الرُّوحيّة.
وبيَّنتُ من أنَّ جُملةَ أُمورٍ هي الَّتي ستُعيننا على ذلك وستدفَعُنا بهذا الاتِّجاه وإنَّني ذاكرٌ أهمَّها:
- **أولاً**: "التَّواصُلُ الصَّحيحُ مع القُرآن".
- **ثانياً**: "درايَةُ الحَديثَ المَعصُوميّ ورِعايَتُه".
- **ثالثاً ولا زالَ الكلامُ في ثالثاً**: "بَيْنَ التَّوجُّه بِهِم والتَّوجُّه إلَيْهِم".
التَّوجُّهُ بِهِم إلى اللّه، والتَّوجُّهُ إليهم لأنَّهم وجهُ اللّه، وشرعتُ في الحديث عن الشَّطرِ الأوَّل عن التَّوجُّهِ بِهِم إلى اللّه، إنَّهُ التَّوسّل، التَّوسّلُ يَظهرُ في هذَين المَقامَين؛ في مَقامِ التَّوجُّه بهم إلى اللّه، وفي مَقامِ التَّوجُّه إليهم لأنَّهم وجهُ اللّه..
لا زِلتُ أتنقَّلُ بينَ آيات الكتاب الكريمِ الَّتي تُحدِّثُنا عن التَّوسّلِ في المقامِ الأوّل وهُوَ التَّوجّهُ بالوَسائلِ إلى اللّه، الشَّفاعةُ من أوضحِ مصاديقِ عَقيدة التَّوسّل..
سأقرأُ عليكُم نَماذجَ أُخرى من آيات الشَّفاعة الَّتي تُعلنُ صراحةً من أنَّهُ هُناكَ شُفعاء، الحديثُ عَنْ يوم القيامة، عَنْ يوم الرّجعة، عَنْ يوم الظُّهورِ الشَّريف..
في سُورة الشُّعراء، الآيةُ المئة بعدَ البَسْمَلَة وما بعدَها، في سياقِ الآيات الَّتي تتحدَّثُ عَن الغَاوين: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾، إلى أن يقولَ أهلُ النَّار: ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾.
في (محاسنِ البرقي)، البرقي المتوفّى سنة (280) للهجرة، من رجالِ الغَيبة الأولى، طبعةُ مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الجزء الأوَّل، هذا المجلَّدُ يشتملُ على الجزأين، الصَّفحة الحَاديةِ والعشرين بَعْدَ المئة، البَابُ الخَامسُ والأربعون: "بابُ الشَّفَاعة"، أوَّلُ حديثٍ فيه: **عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ** - قطعاً بسند البرقي - **فِي قَوْلِ اللَّهِ: "فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ"، قَالَ** - قَالَ الصَّادقُ صَلَوَاتٌ عَلَيه - **قَالَ: الشَّافِعُونَ الْأَئِمَّةُ، وَالصَّدِيقُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.**
"**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ**" مِنَ الأئمَّة، إنَّهم مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد.
"**وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**"؛ مِنَ المؤمنين من شيعَتهم، من شيعَة الأئمَّة الشَّافعين.
الأجواءِ هي أجواءِ البانوراما والقُرآنُ يُحدِّثنا في هذه الأجواء: - **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، لو أنَّ رَجعةً يُمكنُ أن نَرجعَ فيها، ولكنَّ الآيات تتحدَّثُ عَنْ يوم القيامة، انتهى زمانُ الرّجعة، لكنَّهم يتمنَّونَ ذلك..
حتَّى الأصدقاءُ سيكونُونَ وسائلَ يومَ القيامة، قطعاً هَذه هي الوسائلُ الصُّغرى، الوسيلةُ العُظمى مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِم.
الروايةُ عَنْ جَابرِ بنِ عَبد اللّه الأنْصَاري، عَنْ رَسُول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله: **إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلَانٍ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ** - من أهل الجنَّة يتساءلُ - **فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الجنَّة، فَيُخرِجُونَه، فَيَقُولُ مَن بَقِيَ فِي النَّار** - حينما يُشاهدونَ أنَّ هذا أُخرِج بِسببِ صديقه الَّذي في الجنَّة - **فَيَقُولُ مَن بَقِيَ فِي النَّارِ: "فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَاصَدِيقٍ حَمِيمٍ** - وحينئذٍ يتمنَّونَ لو أنَّهم كانوا قد رَجعوا في الرّجعة وصحّحوا مسارَهُم - **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**" - منطقٌ مُتماسكٌ جداً، ما بَينَ ما يُصرِّحُ به القُرآن وما تُصرِّحُ به كَلماتُ مُحمَّد وآل مُحمَّد صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيهِم أجْمَعين.
في سُورة سبأ، الآيةُ الثَّالثةُ والعشرون بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾، إلى آخرِ الآيَة الكريمَة، موطنُ الشَّاهد: هُناكَ شفيعٌ مأذونٌ لهُ من قِبَل اللّه، لماذا يجعلُ اللّه الشُّفعاء؟ لأنَّ اللّهَ نَظَّمَ برنامجَهُ على الخلافَة، لابُدَّ من خَليفة يقومُ بِما هُوَ مُفترَضٌ أن يَقُومَ به اللّه، فإنَّ اللّهَ أوكَلَهُ إلى خليفته، وهذا هو معنى خليفَة اللّه، إلى هذه اللحظة لم يتحقَّق هذا المعنى، إنَّما يتحقَّقُ هذا المعنى في عصر الرّجعة العَظيمة، وفي يوم القيامة الكُبرى، هذا هُوَ المعادُ إلى اللّه..
في سورة غَافر والَّتي ربَّما تُعنونُ في بعض المصاحف بِسُورة المؤمن، الآيةُ الثَّامنةُ بعدَ العَاشرة بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾، إنَّما الحَميمُ والشَّفيعُ المُطاعُ لأولياءِ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد ولأولياءِ أولياءِ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد، الشَّفاعةُ تكونُ شامِلَةً لشيعَة فَاطمَة ولشيعَة شيعَتها، هكذا حدَّثتنا كَلماتُهم الشَّريفَة..
إذاً النَّجاةُ تكونُ مَعَ الشَّفيعِ المُطاع، أمَّا الحميمُ وهُوَ الصديقُ الحميم يأتي تَفرّعاً، لماذا هذا الإصرارُ مِنَ القُرآنِ على أنَّ النَّجاة لا تتحقَّقُ إلَّا بهذا الطَّريق؟ إنَّهُ نظامُ التَّوسّلِ في عقيدة التَّوحيد..
نَحنُ هكذا نقرأُ في كَلمات رَسُول اللّه وآل رَسُول اللّه: (**مَنْ أَنَّهُ مَنْ قَالَ لَا إِلَه إِلَّا اللّه مُخلصاً بِشُروطِهَا وَشَرائطِهَا دَخَلَ الْجَنَّة**)، ماذا يعني ذلك؟ أنَّ التوحيدَ هُوَ الَّذي يُدخلُنا الجنَّة، لَكنَّنا نقرأُ في القُرآنِ أنَّ الدُّخُولَ إلى الجنَّة يحتاجُ إلى شفيعٍ لماذا؟ لأنَّ عقيدةَ التوحيدِ لن تكونَ عقيدةً صحيحةً مَقبُولةً عندَ اللّه من دُونِ أن يكُونَ التَّوسّلُ جزءاً أساسياً فيها.
في سورة الزُّخرف، الآية السَّادسة والثمانين بعدَ البَسْمَلة: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ**﴾ - لأنَّهُ لا نجاة إلَّا بالشَّفاعَة، والشَّفاعةُ موجودةٌ في الدُّنيا، موجودةٌ في حياتنا، كُلُّ القُرآنِ من أوَّله إلى آخره يتحدَّثُ بهذا المنطق - **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾..
في (الكافي الشَّريف)، الجزء الأوَّل، للكُليني المتوفّى سنة (328) للهجرة، طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصَّفحة الثَّانية بعدَ الخمسمئة، الحديثُ الثَّامن: **بِسَنَدِه** - بسند الكُليني - **عَنْ سِنَانِ بنِ طَرِيفٍ، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْه** - قالت الآيةُ من سورة الزُّخرف: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾، أيُّ حَقٍّ هذا الَّذي نَحتاجهُ كَي نَشهدَ به؟ إمامُنا الصَّادقُ يُحدِّثنا: "**إِنَّا أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتٍ نَوَّهَ اللَّهُ بِأَسْمَائِنَا**"، هَذا هُوَ الحقُّ الَّذي يُرادُ منَّا أن نَشهدَ به..
-**إِنَّا أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتٍ نَوَّهَ اللَّهُ بِأَسْمَائِنَا إِنَّهُ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى** - هذا أذانُ اللّه - **فَنَادَى: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه ثَلَاثاً، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّه ثَلَاثاً، أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقّاً ثَلَاثاً** - نَحنُ لا ندري هل أنَّ اللّه يعملُ بِفتاوى مراجع النَّجف فيأتي بالشَّهادة الثَّالثة لا بِعُنوان الجزئيّة، هل أنَّ اللّهَ يُقلِّدهم؟! لا ندري!! أم أنَّ اللّه يكون صاحبَ بِدعة لأنَّهُ يأتي بالشَّهادَة الثَّالثة على أنَّها جُزءٌ من أجزاء أذانه، ماذا تَقُولُونَ أنتم؟! من شَهِدَ بهذا الحقّ،

هؤلاء الَّذينَ سيفوزونَ بالشَّفاعة وسيكونونَ منَ الشُّفعاء أيضاً، فللشيعة شَفاعةٌ وشفاعةٌ وشفاعة، في أوَّل الأمر يشفَعُ فيهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، ومن جُملة شؤونِ شفاعة مُحمَّد وآل مُحَمَّد لبعض الشِّيعة أن يكُونوا شُفعاءَ أيضاً، فالأئمَّةُ يشفعونَ لنا وكذلكَ يَشفَعونَ لنا أن نَكُونَ شُفعاء، وحينئذٍ سنقومُ بدور الشَّفاعة، وهذه المطالبُ مُفصَّلةٌ في كَلماتهم..

في سورة النَّجم، الآية السَّادسة والعشرين بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾، الشَّفاعةُ في مَقامها الأصل لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد وهُم بعدَ ذلكَ يَمنَحونَ وَلايَة الشَّفاعةَ للملائكة من شيعتهم، لأشياعهم منَ الأنبياء والْمُرسَلين، لأشياعهم من أوليائهم الَّذينَ خُلقوا من فاضلِ طينَتهم، الشَّفاعةُ وَلايةٌ عُظمى لا يُمكنُ أن ينالها الإنسانُ منْ دُونِ أن يَمنحها إيَّاه الوليُّ الأعظَم خَليفَة اللّه الأعظم، برنامجٌ مُنظَّمٌ دَقيقٌ مُحكَمٌ في غاية الإتقانِ والحِكمَة والدِّقَّة، هذا هُوَ توحيدُ القُرآن الَّذي هُوَ توحيدُ العِتْرَة الطَّاهرة..

صارَ واضحاً لديكم من أنَّ الكتابَ الكَريم تَكلَّم كثيراً وتَحدَّثَ كثيراً عَنِ التَّوجُّه بِهِم إلى اللّه سُبحانَهُ وتعالى في كُلِّ مراتب وجُودنا، الآياتُ الَّتي مرَّت كانت واضحةً جِدّاً، وما قَرأتَهُ منَ الأحاديثِ عَليكُم جاء في السِّياقِ نفسه، جاءَ بَياناً وشرحاً وتَعانَقَت كَلماتُ القُرآنِ معَ كَلماتِ المعصُومينَ فَنَسجت لنَا لوحةً جَميلةً في حُسنها وزينتها وبهائها..

عُنوانُنا: "بَينَ التَّوجُّه بِهِم والتَّوجُّه إليهِم"، ما مَرّ من كلامٍ كَانَ عَنِ الشَّطرِ الأوَّل؛ "عن التَّوجُّه بهم".

الشَّطرُ الثاني: أنَّنا نتوجَّهُ إلى الوسيلة، وبعبارة صريحة أنَّنا نَتوجَّهُ إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وهذا هُوَ التَّوحيدُ في أدقِّ مَعانيه، هذا المعنى هو المعنى الأعمقُ للتَّوحيد، لأنَّهم وجهُ اللّه، فحينما نتوجَّهُ إلى اللّه نتوجَّهُ إلى وجهه، لا أنَّنا نتوجَّهُ بوجهه إليه، مقبولٌ لضيقِ أفاق العبيد، مقبولٌ لضيقِ منازل الفهمِ والمعرفةِ والحكمة عِنْدَ العبيد، إنَّها مَرتبةٌ من مراتبِ التَّوحيد، لكنَّ التَّوحيدَ الَّذي هُوَ التَّوحيد أنْ نَتوجَّهَ إليهِم لأنَّهُم وَجهُ اللّه.

نماذج من آيَات الكتَاب الكَرِيْم الَّتي تَدُورُ فِيْ هَـٰذه الأجْوَاء:

في سورة البقرة، الآيَةُ الرّابعةُ والأربعون بعدَ المئة بَعدَ البسملة، مُقاربةٌ قُرآنيّةٌ لمعرفة معنى التَّوجُّه إليهِم إجمالاً، قد تقولُ: وهل في القُرآنِ مُقارباتٌ؟ القُرآنُ كُلُّهُ مُقارباتٌ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** - القُرآنُ مَبنيّ على المُقاربة - **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، هذه الحقائقُ أُلبِست لِباساً عربياً، الآيةُ تَصرخُ فينا من أنَّنا نُقرِّبُ لَكُم المعاني، هذه هي المُقارباتُ القُرآنيّة.

أعودُ إلى الآيَة: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾، ما الْمُرادُ من الوجه؟

الوجهُ في الجهة الجسديَّة من الإنسان؛ هو هذا الَّذي نَعرِفهُ الوجه الَّذي نُميِّزُ النَّاس من خلاله، الجِهةُ الَّتي تكونُ في الرأسِ وفيها العينان وفيها الأنفُ والشِّفتان وفيها الفمُ واللِّسان هذا هُوَ الوجه في المعنى الجسدي.

ولَكن في المعنى العَميق؛ فإنَّ الوَجهَ هُوَ القَلْب، حينما تقول: (وَجَّهتُ وَجْهِيَ للَّذي فَطَرَ السَّمَاوَات وَالأَرْض)، وَجَّهتُ وَجْهِي؛ وَجَّهتُ قَلبِي وَليسَ وَجهي هذا. الآيَةُ هُنا تتحدَّث عن الوجه الجسدي: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** - الوجهُ هُنا وجهُ الجسَد - **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾، هذا هُو الوجهُ الجَسَدي، الآيةُ رَبطت رَبطاً وثيقاً بينَ الوجه الجسدي وبينَ المسجد الحرام، إنَّها القِبلَةُ بِعُنوانها العام، لأنَّنا حينما نتوجَّهُ إلى القبلَة فإنَّنا نتوجَّهُ إلى جهة المسجد الحرام..

هذه وَسيلَتُكم إذا كُنتُم في مقام العبادة توجَّهوا إلى هذه القبلة، إذا ما صَلَّيتُم على سبيل المثال إلى جهة أُخرى فإنَّكُم لم تَلجأوا إلى الوَسيلَة..

لماذا الصَّلاةُ إذا جِئنا بها على أفضلِ حالٍ وعلى أفضلِ شَرطٍ إذا جِئنا بها إلى جهة أُخرى، لنفترض أنَّ القِبلَةَ من جِهة المشرِق ونحنُ صَلّينا إلى جهة المغرب، الصَّلاةُ باطلةٌ ويجبُ علينا أن نُعيدها، إنَّنا ما صَلّينا، هذه مَا هِيَ بِصلاة، لا يُقالُ لَها صلاة هذا عَبثٌ، لِماذا؟ لأنَّ التَّوسُّلَ جُزءٌ من ماهيّة الصَّلاة، أنَّنا نَتوسَّلُ جَسدياً بالجهة الَّتي نَعرِفُها من أنَّها القِبلَة، القضيَّةُ واضحة، الكَلامُ في الجانبِ الجَسدي هَيِّنٌ.

الصَّلاةُ حقيقتُها في جانبها المَعنوي؛ (**لَكَ مِنْ صَلاتكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيه**)، ما أقبلتَ عليه ليسَ بالتَّوجُّه إلى معاني الألفاظ الَّتي يتلفَّظُها المصَلِّي، ما أقبلتَ عَلَيه عبرَ التَّوجُّه إلى القبلة المعنويَّة، يُشترطُ عليكَ أن تَتوجَّهَ بِقَلبكَ إلى الجهة المعنويَّة إلى القبلة المعنويَّة، وهذا هُوَ التَّوسُّل، نَحنُ حينَ نَتوجَّهُ إلى القبلة فإنَّنا لا نَعبُدُ القبلَة لا نَعبُدُ الكَعبة، إنَّنا نَعبدُ اللّهَ ونُوحِّد اللّهَ بأجسادنا عبرَ وسيلة الكعبة، وحينما نَتوجَّهُ إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد إنَّهم القِبلةُ المعنويَّة إنَّنا لا نَعبُدُهم، إنَّنا نَعبُدُ اللّهَ من خلال الوسيلة المعنويَّة من خلال هذه القِبلَة، هذا هُوَ دِينُ العِتْرَة..

فهذه الآيةُ تُقرِّبُنا، قلتُ لَكُم إنَّها مُقاربةٌ قُرآنيّةٌ.

وهذه الْمُقاربةُ لن تكتملَ إلَّا إذا ما ذهبنا إلى الآية السّابعة والسّبعين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة البقرة، الآيةُ الْمُتقدِّمة أمرتنا أن نَجعلَ وجُوهَنا باتِّجاه القبلة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

"**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**"؛ حينما نَتوجَّهُ إلى القبلة إلى الكَعبة أكانت في مَشرِقنا أم كانت في مَغربنا حينما نتوجَّهُ إليها فإنَّنا نتوجَّهُ بأجسادنا، وهذا طقس، هذه عمليَّةٌ توسُّلٍ محدودة، البِرّ الحقيقي هُو العقيدةُ السَّليمةُ الَّتي تُترجمُ بهذه العناوين الَّتي ذكرتها الآية، والْمُرادُ منَ اليوم الآخر إشارةٌ إلى أيَّام اللّه..

والإيمانُ باللّه هُوَ التَّوحيدُ ومَرّت علينا الآياتُ من أنَّ التَّوحيدَ لا نستطيعُ أن نتصوَّرهُ قُرآنياً من دُون عقيدة التَّوسُّل، فَهُناكَ اللّه، وهُناكَ خَليفةُ اللّه، وهُناكَ برنامجُ اللّه الَّذي يأتي عبرَ خليفَة اللّه، حديثنا عن عقيدة التَّوسُّل الَّتي هي هي حقيقةُ عقيدة التَّوحيد.

في الآية التَّاسعة والعشرين بعدَ البَسْمَلَة من سورة الفتح:﴿**مُحَمَّدٌ** - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله - **رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾.

الآيةُ تشتملُ على الكثيرِ والكثيرِ منَ المطالب، أذهبُ إلى نقطة واحدة منها إنَّها النُّقطةُ الَّتي ترتبطُ بحديثي في هذه الحلقة: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾، بحسبِ أُفق العبارة فإنَّ الحديثَ عَنْ آثار السُّجود على الجَبين، لأنَّ الحديثَ عن رُكوعٍ حسيٍّ وسُجود حسيّ، ليسَ بالضَّرورة أنَّ الْمُرادَ من السيماء هُنا أنَّ أثراً يكونُ في الجبين، هذا مقصودٌ في الآية قطعاً، ولكنَّ السيماء قد يكونُ نُوراً معنوياً، قد يكونُ هَيبةً، قد يكونُ بَهاء يظهر على وجه المؤمنِ لطُولِ رُكُوعه وسُجُوده، فإنَّ العبادَةَ الصَّحيحةَ تترُكُ آثارَها على ظاهر الإنسانِ وعلى باطنه، على أفعاله وعلى أقواله وأحواله.

إذا تَجاوزنا هذا الأفق وذهبنا إلى أُفُق الإشارة؛ "فإنَّ الوجوهَ هيَ القُلُوب"، نَحْنُ حينَ نَتوجَّهُ إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بوجُوهنا إنَّنا نتوجَّهُ بِقُلُوبنا، مثلما مائزُ الإنسان الحسيّ في وجهه الظَّاهر مائزُ الإنسان المعنوي في قلبه، ولذا فإنَّ اللّهَ لا ينظُرُ إلى وجوهنا وأجسادنا، لا ينظُرُ إلى ثيابنا وزينتنا، وإنَّما ينظرُ إلى قُلُوبنا، لأنَّ الوجه الحقيقيّ للإنسانِ في قلبه، والمُرادُ منَ القَلبِ هُنا باطنُ الإنسان، إنَّهُ عَقلهُ ووِجدانه وضَميرهُ وفِطرتهُ، (اتَّقُوْا فِراسَةَ الْمُؤمنِ فَإنَّهُ يَنظرُ بِنُور اللّه)، إنَّهُ يَخترقُ بِفراسته الحاجزَ الجسدي كي يستشعرَ نُوريَّةَ القَلبِ وظَلامَهُ، وحينما يستشعرُ نُوريَّةَ القَلب إنَّهُ سيتلمَّسُ سيماءَ السُّجُود، سيماءَ الخُضُوع، إنَّهُ السُّجودُ في محرابِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، مثلما سجدت الملائكةُ لأبينا آدم لأنَّ نُوراً من مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد قَدْ شعَّ فيه، هذه هي الوجُوهُ السَّاجِدة، هذه وجُوهُ سَلْمَان، الْمِقداد، أبي ذر، ولذا قالت الآيةُ في آخرِها: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ**﴾، هذا الوعدُ لبعضهم وليس لكُلِّهم؛ ﴿مِنْهُمْ﴾، ربَّما انطبقت الأوصافُ في أوَّل الآية على كثيرينَ من صحابَة النَّبيّ، ولكنَّ الأُمورَ بِخواتيمها، مثلما حدَّثتنا الرواياتُ؛ سَلمانُ، الْمِقدادُ، أبو ذر، وأضرابُهم الَّذينَ التحقوا بِهم بعدَ ذلك، هذه الوجوهُ إنَّها القُلُوب الَّتي عليها سيماءُ السُّجود إنَّهُ "التَّسليمُ والسَّاميةُ والخُضُوعُ والخُشُوعُ والإخباتُ في أفنيةِ وَلايةِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيهِم أجْمَعِين"، هذا هُوَ المعنى الإجمالي لمعنى تَوجُّهنا إليهم إنَّها مُقاربةٌ قُرآنيّةٌ، الحقائقُ أعمقُ من ذَلك..

في سُورة القَصَص، الآية الثَّامنة والثَّمانين بعدَ البَسْمَلَة، آخرِ آية: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، الآيةُ هيَ الآيةُ الَّتي تُحَدِّثُنا عن التَّوحيد الَّذي هُوَ التَّوسُّل، وعنِ التَّوسُّلِ الَّذي هُوَ التَّوحيد، لا أُريدُ أن أقفَ طَويلاً عندَها، إنَّما أُريدُ أن أقُولَ لَكُم: بأنَّ الآيةَ هذه مَعَ آياتٍ أخرى سأذكُرُها لكم تُخبِرنا؛ "أنَّ اللّه شَيءٌ وأنَّ وَجهَهُ شيءٌ آخَر"، فإنَّ وَجْهَ اللّه ما هُوَ بِجزءٍ مِنَ اللّه، اللّهُ سُبحانَهُ وتعالى لا يتألَّفُ مِن أجزاء، لكنَّ العبائرَ قاصرة، إنَّها مُقارباتٌ..

دَقِّقوا النَّظرَ في الآية: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾، هل هذا يعني أنَّ اللّهَ سيكونُ هالكاً ولا يَبقى من اللّه إلَّا وَجْهَه؟! تستغربونَ هذا؟! هُناكَ مَن فَهِمَ هذا الكلام من المسلمينَ، لا أُريدُ أن أَخُوضَ في كُلِّ التَّفاصيل، لكنَّ الآية جاءت بهذا التَّعبير: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ** - مِنَ المخلُوقات - **إِلَّا وَجْهَهُ**﴾، لأنَّ وَجه اللّه مخلُوقٌ، هُناكَ اتِّصالٌ في الكلام، وهذا وَجهُ اللّه لا يُصيبهُ الهَلاك لأنَّهُ الوسيلَة، ولأن التَّوسُّلَ هُوَ التَّوحيد، ولأنَّ التَّوحيدَ هُوَ التَّوسُّل، جاءت هذه الصِّياغَةُ القُرآنيّة: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ**﴾، كيفَ نَدعُوه؟ عبرَ عَقيدة التَّوسُّل، أن نَتوجَّهَ إلى وَجْهِه، لأنَّ كُلَّ شيءٍ مِن دُونِ وَجهِهِ مِنَ المخلُوقات سيكونُ هالكاً، لا يبقى مِنَ المخلُوقات إلَّا وَجهُ اللّه.

إنَّهُ وَجهُهُ الباقي، وَجْهُهُ الدَّائم، وَجْهُهُ الثَّابت الَّذي خَلقَهُ لأجله وخَلقَ كُلَّ شيءٍ لأجلِ وَجْهِه، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم، هذه النُّقطةُ أساسيّةٌ في الفَهم: من أنَّ اللّهَ شَيءٌ وأنَّ وَجهَهُ شيءٌ آخَر، وَجْهُهُ مَخلُوقٌ، (**وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَم** - هذا هُوَ وَجْهُهُ - **الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيرِك**)، هذا هُوَ الوَجْهُ الَّذي لا يُصيبهُ الاندثار ولا يتعرَّضُ لهُ الفَناء ولا يَمُرُّ به الهَلاك، هذا هُوَ الوَجهُ الباقي الثَّابتُ الدَّائم وَجْهُ اللّه مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، هذه الجُملةُ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد)، في أوضحِ مَعانيها هُوَ هذا المعنى، هذه الجُملةُ مَعانيها لا حُدودَ لها، بِحارٌ مُتلاطمةٌ منَ المعاني، هذا المعنى الَّذي أشرتُ إليه من أنَّ كُلَّ الخلائقِ هَالكَة إلَّا مَخلُوقٌ واحد هُوَ وَجْهُ اللّه، لماذا؟ لأنَّهُ على صلَة باللّه، (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد)، هذه الجُملةُ تُشيرُ إلى الصِّلَة الدَّائمة فيما بينَ اللّه وبينَ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، ومَن هُنا لا يُمكنُ أن يُلحَقَ بِهِم أحدٌ آخرَ منَ الصَّحابَة أو من نساء النَّبيّ، هذا كُفرٌ، لأنَّ الجُملةَ واضحةٌ، البَقاءُ للوَجْهِ فَقَط والباقُونَ هَالكون، هؤلاء هُم وَجْهُ اللّه الَّذينَ لن يتطرَّقَ الهَلاكُ إليهِم مُطلَقاً في كُلِّ مراتبِ الوُجود، ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

في سورة الرَّحمـٰن، الآية السَّادسة والعشرين بعدَ البَسْمَلَة وما بعدَها: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** - "مَن عَلَيهَا"؛ عَلَى صَفحة الوجُود، وليسَ على الأرض فقط - **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، الوَجْهُ غَيرُ الرَّبّ، وَجْهُ الرَّبّ غَيرُ الرَّبّ، وواضحٌ إذا دَقَّقنا النَّظر فإنَّ (ذُو) من الأسماء الخمسة، من الأسماء السِّتَّة على اختلاف أقوال النُّحاة تُرفَعُ بالواو، فَهُنا جاءت صفةً لوَجْه.

"**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**"؛ ذُو الجَلَال والإكْرَام هذا وصفٌ للوَجْه وليسَ لرَبِّك، لأنَّ كَلمة (**رَبِّك**)، جاءت بِعُنوانِ الْمُضاف إليه، والْمُضافُ إليه مجرور، وَجْهُ: فاعل مرفُوع وهُوَ مُضاف، ربِّك: مُضافٌ إليه، والـمُضافُ إليه مجرور، ذو: إنَّها مَرفُوعة لأنَّها صفةٌ لوجه، فوجْهُ ربِّكَ هُوَ ذُو الجَلال والإكرَام.

في السورة نفسها، الآية الثَّامنة والسَّبعين بعدَ البسملة: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، فهنا: "**ذِي**"، جاءت صِفةً لربِّك، لأنَّ كَلمة "**ربِّك**"، جاءت مجرورةً بالإضافَة، بينما "**اسم**"، فَهُو فاعلٌ وجاءَ مرفُوعاً..

إذا جمعنا بينَ الآيتين هذا يعني أنَّ الوَجْهَ شَيءٌ وأنَّ رَبَّكَ شَيءٌ آخر..

في سورة البقرة، الآية الخامسة بعدَ العاشرة بعدَ المئة بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**﴾، الحديثُ هنا حسيّ - **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا** - أينما تُوَلُّوا: ولَّينا وجُوهَنا إلى المغرب الحسيّ إلى المشرق الحسيّ، أو ولَّينا وجُوهَنا إلى باطنِ عُقُولنا، إلى باطنِ قُلُوبنا، أو إلى أيَّة جهة حسيّة كانت أو معنويَّة - **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** - فَثَمَّ فَهُناكَ وَجْهُ اللّه - **إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾، ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾، مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد إن لم يكونوا أينما نُولِّي كيفَ يكونونَ ينظرونَ إلينا بهذه النَّظرة الإطلاقية، الكلامُ يتناسقُ فيما بينَ الآيات، رؤيةُ اللّه إطلاقيّةٌ لا حدودَ لها، ليسَ هُناكَ من حواجزَ زمانيَّة أو مكانية، والأمر هُوَ هُوَ مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بصريح هذه الآية..

الآياتُ واضحةٌ وصَريحةٌ في أنَّ وَجهَ اللّه شَيء وأنَّ اللّهَ شيء، وأنَّ وَجْه اللّه مَخلُوق هُوَ الْمَخلُوقُ الأعْظَم.

في كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، من أعلام الشِّيعة في القَرن السَّادس الهجري، طبعةُ مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطَّبعةُ ذات المجلَّد الواحد الَّذي يشتملُ على الجزأين، الصَّفحة الثَّانية والخمسين بعدَ المئتين، حديثٌ طويلٌ مرويٌّ عن سيِّد الأوصياء عن أمير الْمُؤْمِنِيْن صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، موطن الحاجة منه، أمِيرُ الْمُؤْمِنِيْن يُحدِّثُنا عَن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ويَقُول: **وَهُمْ وَجْهُ اللّه الَّذِي قَال: "فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه"** - هذا كلامُ أمِيرِ الْمُؤْمِنِيْن يُحدِّثُنا عن قُرآنه - **هُم بَقِيَّةُ اللّه** - لأنَّ الخطابَ مُوجَّهٌ لنا لزماننا - **هُمْ بَقِيَّة اللّه يَعنِي الْمَهْدِيّ يَأتِي عِنْدَ انْقِضَاء هَـٰذِه النَّظرَة** - النَّظرَة هي فَترةُ الانتظار إنَّها فترةُ الغَيبة، إنَّها الغَيبةُ الَّتي نحنُ فيها لأنَّ الإمامَ يأتي بعدَ انقضائها - **فَيَملأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئتَ ظُلْماً وَجَوْراً** - أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْن يقولُ لنا هذه عَقائدكُم أنتُم في زمانِ النَّظرَة عليكُم أن تعتقدوا بهذه العقائد، عليكُم أن تُمهِّدوا لإمامِ زَمانكُم وأنتُم على هَذه العقائد، هذا هُوَ دينُ عَلِيٍّ الَّذي هُوَ دينُ قائمِ آلِ مُحَمَّد، ويستمرُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْن في تفاصيل الكلام، تُلاحظونَ أنَّ آيات قُرآنهم مع حَقائقِ كَلماتهم تُشَكِّلُ بُنياناً واحداً مرصُوصاً إنَّهُ بُنيانُ العَقيدة السَّليمَة.

في (مفاتيح الجنان)، الزيارةُ الثَّالثةُ من زيارات سيد الشُّهداء بحسبِ تبويب الْمُحدِّث القُمِّي، مِن الزِّيارات المخصُوصَة، زيارةُ النِّصف من شَعبان مَرويَّةٌ عَن إمامنا الصَّادق صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه نُخاطبُ فيها سيدَ الشُّهداء ونقولُ لهُ: **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ** - يا حُسين - **نُورُ اللّه الَّذي لَمْ يُطْفَأ وَلَا يُطْفَأُ أَبَداً، وَأَنَّكَ وَجْهُ اللّه الَّذِي لَمْ يَهْلك وَلَا يُهْلَكُ أَبَداً** - وهذا الوصفُ وصفٌ في الأصل لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد جميعاً، وفي التَّفريع يكونُ لكُلِّ واحدٍ منهم، ما كانَ لأوَّلهم فَهُو لآخرِهم، وما كانَ لآخرِهم فَهُو لأوَّلهم، نُورٌ واحد، حقيقةٌ واحدة، طِينةٌ واحدة، أصلٌ واحد..

الآياتُ الَّتي قرأتُها عليكُم عرضت لنا:
- **أوّلاً** : المعنى الإجماليّ في مُقاربة قُرآنيّة لمضمون التَّوجّه إليهم، ما هُو مضمونُ التَّوجّه إليهم في ظَاهر الأمرِ وباطنه.
- وبيّنت لنا الآياتُ كذلك من أنَّ وَجْهَ اللّه غَيرُ اللّه، لأنَّ اللّهَ هُوَ الخَالق ولأنَّ وَجْهَ اللّه هُو المَخلُوقُ الأعظَم، أعتقدُ أنَّ الصُورةَ صارت واضحةً وبَيِّنةً.
في سورة الأحزاب، الآيةُ التَّاسعةُ والستُّون بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ**﴾، قُريش آذَت رَسُولَ اللّه أكثَرَ بِكثيرٍ وكثيرٍ وكثيرٍ وكثيرٍ ممَّا فَعلَ اليهودُ معَ مُوسَى، هُوَ الَّذي يقول صلَّى اللّهُ عَلَيه وآله: (مَا أُوذيَ نَبيٌّ مثلَما أُوذيت).
- **فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا** - والآيةُ لها واقعةٌ ذكرتها لنا الروايات - **وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾، مَقصَدي هُنا: "**وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**"، هذا التَّعبيرُ جاءَ بِشأنِ مُوسَى هُنا..
وجاء أيضاً بِشأنِ عيسى في سورة آل عمْرَان، الآيةُ الخَامسةُ والأربَعون بَعْدَ البَسْمَلَة: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾، "**وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**"، هَذا الوصفُ ماذا يعني؟
لأنَّنا نَقرؤهُ أيضاً في زِيارة عاشوراء المرويَّة عن إمامنا البَاقرِ صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه، في (مفاتيح الجنان): "**اللَّهُمَّ اجْعَلنِي عِنْدَك وَجِيهًا بِالحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة** - ما المرادُ من هذا الوصف؟
الوَجيهُ في اللُّغة هُوَ صاحبُ الوَجَاهة، والوَجاهةُ المنزلةُ بينَ النَّاس، هذا المعنى السَّاذَجُ للكَلمة..
إذا أَردنا أن نَدخُلَ في التَّفاصيل والجُذُور؛ فإنَّ الوجيهَ هُوَ الَّذي يكونُ لهُ وَجهٌ مُميّزٌ بينَ النَّاس، وهذا الوَجهُ المميّزُ ما هُوَ بالوجه المحسُوس، وإنَّما هُوَ الوَجهُ المعنوي، لهُ مَنزلةٌ مَعنويّةٌ، قد تكونُ مَنزلةً أخلاقيّةً، قد تكونُ منزلةً علميّةً، قد تكونُ مَنزلةً دينيّةً، قد تكونُ منزلةً قانونيّةً، قد وقد وقد.
في المقامِ هُنا ونحنُ نتحدَّثُ عن الوَجيه مُوسَى وعن الوَجيه عيسَى: ﴿**وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾، إنَّهُ عيسى ابنُ مريم، أو عن هذا المضمون في زيارة عاشوراء: (**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهًا بِالحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة**)، الوَجيهُ هُوَ الْمُتَوسِّلُ، هُوَ الْمُتَوسِّلُ الَّذي يَتَّجِهُ بوجهه إليهم، فَحينما يتوجَّهُ إليهم وهُم وَجهُ اللّه فإنَّ وجههُ سيعلو شَأنُه، والْمُرادُ من الوجه هُنا قيمتهُ، وجههُ الَّذي في قلبه، باطنُ شخصيته، هذا هُوَ وجهُ الإنسَان الَّذي نَتوجَّهُ به إلى اللّه، ﴿**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾، إنَّني وَجّهْتُ عَقلي وقَلبي، وَجّهْتُ مَضموني، وَجّهتُ حَقيقةَ شَخصيتي، وَجّهتُ مَا يجري في خَلجَات نَفسي، وَجّهتُ وجداني وفطرتي، هذا هُوَ وجهي وليس هذا الَّذي يعرِفُني به النَّاس إذا ما رأوني، هذا وَجهي ولكنَّهُ وجهٌ حسّيٌ..
- **يَا أَبَا عَبْد اللّه إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللّه وَإِلَى رَسُوله** - هل هذا شرك؟! في الوقت نَفسه أَتقرَّبُ إلى اللّه وإلى رَسُوله لأنَّ رَسُولَ اللّه هُوَ وَجهُ اللّه، وحينما أتوجَّهُ إلى رسول اللّه فإنَّني أتوجّهُ إلى اللّه - **وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ** - يَا حُسَيْن - **بِمُوَالَاتِك وَبِالبَرَاءَة مِمَّن قَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الحَرْب وَبِالبَرَاءَة مِمَّن أَسَّسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيكُم وَأَبْرَأُ إِلَى اللّه وَإِلَى رَسُوله مِمَّن أَسَّسَ أَسَاسَ ذَلك وَبَنَى عَلَيه بُنْيَانَه وَجَرَى فِي ظُلْمه وَجَوْرِه عَلَيْكُم وَعَلَى أَشْيَاعِكُم، بَرِئْتُ إِلَى اللّه وَإِلَيْكُم مِنْهُم وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللّه ثُمَّ إِلَيْكُم بِمُوَالَاتكُم وَمُوَالَاة وَلِيِّكُم وَبِالبَرَاءَة مِنْ أَعْدَائكُم وَالنَّاصِبِيْنَ لَكُم الْحَرْبَ وَبِالْبَرَاءَة مِنْ أَشْيَاعِهِم وَأَتْبَاعِهِم، إِنِّي سِلْمٌ لِمَن سَالَمَكُم وَحَرْبٌ لِمَن حَارَبَكُم وَوَلِيٌّ لِمَن وَالَاكُم وَعَدُوٌّ لِمَن عَادَاكُم فَأَسْأَلُ اللّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتكُم وَمَعْرِفَة أَوْلِيَائكُم** - كُلُّ هذه المضامين تُمثِّلُ درجَات منَ التَّوسُّل، إلى آخرِ ما جاء في الزِّيارة الشَّريفة، الزِّيارةُ مِن أوَّلها إلى آخرِها تُحدِّثنا عن مصاديق وعن مظاهر وعن مَراتب للتَّوسُّل بِكُلِّ مَضامينه الَّتي مر الحديثُ عنها..
الآيةُ الخامسةُ بعدَ المئة بعدَ البَسملة من سُورة يونس تُعطينا برنامجاً كي نَكُونَ في دائرة الوُجَهاء، ألَا نَطلُبُ في زيارة عاشوراء أن نَكُونَ وُجَهاءَ في الدُّنيا والآخرة، أن يكُونَ الإنسانُ وَجيهاً في الدُّنيا والآخرة مثلما مرّ الحديثُ عن الوجيه مُوسَى وعن الوَجيه عيسَى، الآيةُ هكذا تقول: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** - تريدُ أن تَكُونَ وَجيهاً؟ أقِم وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً، حَنيفاً يعني مُستَقيماً، يعني واضحاً، يعني صريحاً، بيِّناً، نَظيفاً، مُشرقاً، هذا المعنى لا يتحقَّقُ إلَّا بالتَّوجه إليهم، حينما نَتوجَّهُ إلى وَجه اللّه فإنَّنا نُطَبِّقُ هذه الآيَة حرفياً، دينُ اللّه مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد، ووَجهُ اللّه هُم مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد - **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾..
فِي سورة الرُّوم، الآيةُ الثَّلاثين بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** - ماذا بَعد؟ - **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾، إذا ما سألنا العِتْرَةَ الطَّاهرة عن هذه الفطرة ما هي؟ تُجيبُ العِتْرَةُ الطَّاهرة: (لَا إِلَه إِلَّا اللّه مُحمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ وَلِيُّ اللّه)، إنَّهُ أذَانُ اللّه..
- **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** - الدِّينُ القَيِّمُ هُوَ الَّذي تُشرِفُ عليه القَيِّمَة كما جاء في الآية الخامسة بعدَ البَسْمَلَة من سورة البَيِّنة: ﴿**وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾، البَاقرُ يقولُ صَلَواتُ اللّه عَلَيه: القَيِّمةُ فَاطمَة، فَدينُ القَيِّمَة هُوَ هُوَ الدِّينُ القَيِّم الَّذي فطرتهُ: (لَا إِلَه إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ وليّ اللّه)، هذه فطرةُ الغدير، بيعةُ الغدير ألَا لَعنةُ اللّه على مَن غَدَرَ بِها، ألَا لعنةُ اللّه على مَن حرفَها، سقيفةُ بَني ساعدة غَدرت بها، سقيفةُ بني طوسي حرفُوها، وضَحكوا على أسلافنا وأجدادنا من أنَّهُم يَعملونَ بمضامين بَيعة الغدير، وَواللّه مَا عَملوا بِحرف واحد منها..
- **وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** - وأمَّا شيعةُ العراقِ فحتَّى لو علَّمتهم فإنَّهُم لا يتعلَّمون، لَقد تكلَّسَ خراءُ المراجع في عُقولهم فلا علاجَ لهم..
في السورة نفسها، الآيةُ الثَّالثةُ والأربعون بعد البَسْمَلَة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ** - لدينِ فَاطمَة - **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾، إلى آخرِ ما جاء في الآيات الكريمة.
نُريدُ أن نَكُونَ وُجَهاء؟ هذا هُوَ برنامجُ صَناعَة الوُجَهاء، الوُجَهاءُ هُم الَّذين مَحَضوا الإيمان، هُم الَّذينَ يَتوجَّهونَ بِوجُوههم إلى وجه اللّه الأعظَم، مثلما نُخاطبُ إمامَ زماننا في دُعاء النُّدبَة الشَّريف: (**أَيْنَ وَجْه اللَّه الَّذِيْ إِلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، هؤلاء هُم الأولياءُ الوُجَهاء..